

## عمليات غزّة تحدث هزّة داخلية في الكيان

# جنرالات صهاينة: المقاومة الفلسطينية

## أسطورية.. لنخجل من جيشنا

فلسطين/إبراهيم السعيد



من المارقة أنه منذ أن احتدم الصراع بين المقتصبين الصهاينة والفلسطينيين على أرض فلسطين، لم يكن لعمليات المقاومة تأثير على الرأي العام الإسرائيلي والحراك السياسي داخل الدولة العبرية كما كان لعمليات المقاومة التي هزت جيش الاحتلال في قطاع غزة، وتحديداً في حي «الزيتون» بمدينة غزة، وفي مدينة رفح جنوب القطاع. وإن كان هناك ثمة أحد لا يزال يبحث عن دليل على دور الجهاد والمقاومة في إحداث التغيير في مواقف المقتصب الصهيوني، فقد كان وقع هذه العمليات على كل من دوائر صنع القرار في الدولة العبرية وعلى الطبقة السياسية وعلى الرأي العام، خير دليل على ذلك التأثير. تأثير هذه العمليات الواسع على الدولة العبرية فاجأ حتى القطاعات داخل المجتمع الصهيوني التي تنادي بالتسوية السياسية كحل للصراع، فالعمليات العسكرية دلت على أن الأغلبية الصهيونية لم تعد مستعدة لتقديم التضحيات مقابل مواصلة احتلال قطاع غزة، وبشكل تدرج معه المؤسسة الأمنية الصهيونية أنه لم يعد بالإمكان إقناع جنود الاحتلال بجذوى التضحية من أجل مواصلة بقاء الاحتلال في القطاع.

### الصهاينة يخجلون من جيشهم

ما يشبه الهزّة الأرضية ضربت أركان الدولة العبرية، حالة من الفزع تعصف بجميع طبقات المجتمع العبري، جميع المستويات السياسية والعسكرية في الدولة اليهودية تشعر بالخجل جراء النجاحات غير المسبوقة التي حققتها المقاومة الفلسطينية الأسبوع الماضي. سقوط ثلاثة عشر جندياً من عناصر وحدة الهندسة الميدانية الخاصة المسؤولة عن تدمير أكثر من ألفي منزل فلسطيني في مدينة رفح وحدها شكل ضربة قوية للصلف الصهيوني، وأصاب منه مقتلاً. ولعل أوضح تعبير لحالة الإرباك التي تحياها الدولة العبرية كان بلا شك، ما قاله الوزير الإسرائيلي المتطرف دان نافييه «إن الفلسطينيين الذين يملكون إمكانيات بسيطة يرفعون رؤوسهم مفاخرين بما حققوا، بينما تطأطئ دولة بأكملها الرأس خجلاً». أكثر ما لفت نظر قادة الجيش والمعلقين، فضلاً عن النخب المثقفة في الدولة العبرية هو «الجرأة الأسطورية»، كما وصف ذلك الجنرال بنيامين شلومي القائد السابق لقوات جيش الاحتلال في قطاع غزة. التصميم الذي أبداه المقاومون الفلسطينيون في مواجهة قوات الاحتلال التي اقتحمت حي الزيتون ومدينة رفح أثار إعجاب قادة جيش الاحتلال. أحد قادة لواء «جفعاتي»، الذي سقط جنوده على أيدي عناصر المقاومة، علّق على حجم وعظمة المقاومة الفلسطينية قائلاً «كان بإمكان الفلسطينيين أن يتركوا ننسحب متذرعين بتقوننا التقني الهائل عليهم، لكنهم تحدونا وتجاهلوا مظاهر تفوقنا، إن المقاتل الفلسطيني لا يهاب أي شيء». ويضيف ضابط آخر في اللواء «ماذا لو كان هؤلاء يملكون عشرة بالمائة مما نملك من إمكانيات... بكل تأكيد إن شكل هذه المنطقة كان قد تغير منذ زمن بعيد». ويحدّر قائد المنطقة الجنوبية في جيش الاحتلال دان هارثيل -الذي يتولّى من ناحية تنظيمية مسؤولية إدارة الحرب الإسرائيلية ضد الانتفاضة الفلسطينية في قطاع غزة- الساسة الإسرائيليين الذين حاولوا نهش لحمه وتحمله مسؤولية الفشل الكبير، ويقول «عليكم أن تكونوا واقعيين في انتقاداتكم، المشكلة التي تواجهنا أن كل ما نقوم به من إجراءات

لردع الفلسطينيين لا تؤثر فيهم، إنهم يحتملون سقوط الضحايا، ويتألون على أنهم وكان شيئاً لم يكن». الذي أثار خيبة المستويين السياسي والعسكري في الدولة العبرية هو حقيقة أن تصعيد عمليات القمع التي وصلت أوجها باغتيال الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي، قائدي حركة حماس، لم يفضّل فقط عامل الردع في مواجهة الفلسطينيين، بل إن هذا التصعيد راكم الدافعية لدى جميع فصائل المقاومة الفلسطينية من أجل تصعيد عملياتها، وجعلها معنية أكثر لتثبت لـ(إسرائيل) فشل ما رمت إلى تحقيقه من خلال هذه التصعيد.

الذي فاجأ الصهاينة بشكل أكبر من أي شيء آخر كان مدى قدرة المجتمع الفلسطيني على التحمل من أجل رفق المقاومة. الملقق العسكري في «يديعوت أحرونوت»، أليكس فيشمان يؤكد أن هيئة أركان الجيش تكاد تصعق من قدرة المجتمع الفلسطيني على التحمل. أما رونين بريغمان، المختص بتغطية أنشطة الأجهزة الاستخباراتية في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، فيؤكد أن جميع المستويات العسكرية في الدولة العبرية باتت تدرك بؤس الرهان على العمل العسكري وخيار القوة في مواجهة الشعب الفلسطيني، إن هناك إحساساً عاماً بالعجز في جميع المستويات المهنية العسكرية في مواجهة الفلسطينيين الذين يملكون إمكانيات بسيطة وبدائية مقارنة مع ما يمتلكه الجيش الإسرائيلي.

وإن كان قادة جيش الاحتلال قد حرصوا في الآونة الأخيرة على التبرجح بدور أنظمة التقنيات المتقدمة التي يعتمدون عليها في مواجهة المقاومة وقادة وعناصر حركاتها، في ما اعتبروه ظهور دلائل على شعور الفلسطينيين بالعجز عن مواصلة الانتفاضة، فقد كانت هذه العمليات دليلاً آخر على مدى هشاشة الاستنتاجات التي خلص إليها هؤلاء القادة. فقد شنّ النائب عن حزب «ياحد، ران كوهين، وهو جنرال متقاعد، هجوماً على قادة الجيش قائلاً «للأسف أنه في كل مرة نعلن بفخر انتصارنا على الفلسطينيين، نصعق ثانية عندما يتبين لنا أن الفلسطينيين قادرين على مفاجأتنا بشكل يُخجل الدولة بأسرها». ويضيف كوهين أن اعتماد الدولة العبرية على موازين القوى التي تميل لصالحها بشكل جارف في المواجهة مع الشعب الفلسطيني، قد أسى قادتها حقاً يتوجب ألا ينسوها، أهمها أن الفلسطينيين يشعرون أنهم يقاثلون وهم يمتلكون بعداً أخلاقياً قوياً. ويضيف «شتان بين من يقاثل وهو يؤمن أنه يقاثل من أجل حقّه وحقّ عائلته وشعبه في حياة كريمة بأرضه، وبين من يقاثل وهو يعلم أنه لا حقّ له في الأرض التي يقاثل عليها».

### غضب على الليكود والمستوطنين

أهم نتيجة لعمليات النوعية للمقاومة الفلسطينية في القطاع من ناحية سياسية، كان فرض عزل على اليمين المتطرف في الدولة العبرية، الذي أحبط خطة «فك الارتباط». جميع وسائل الإعلام، فضلاً عن الكثير من النخب الثقافية اتهمت حزب الليكود والأحزاب التي تقع على يمينه بالمسؤولية المباشرة عن سقوط الجنود. الجنرال يائير يابا، قائد القوى البشرية الأسبق في جيش الاحتلال قال إن دماء جنود الجيش الإسرائيلي التي سالت يتحمل مسؤوليتها حزب الليكود الذي أحبط خطة «فك الارتباط»، التي كان من المفترض أن تضع حداً للوجود الإسرائيلي في القطاع. وأضاف